

ناصر قنديل

بالمختصر المفيد ودلالات لقاء العظميين فلاديمير بوتين وبشار الأسد ومؤشراتهِ، نبداً «حديث الجمعة» لهذا الأسبوع، قبل الانتقال إلى الصباحت ما يقوله الصباح على مدى سبعة أيام، وإلى «قالت له» والكلام المباح حول الحبِّ والحريّة والرحيل والقيود، فالرياضيات تعبت بالكلام تحيل معناه معنى آخر، ثمّ نختم بالمشاركات المتنوّعة بين الوجداني والوطني، والشعر والنثر وما بينهما من إبداع.



مختصر مفيد*

بوتين والأسد... وروزفات وستالين

الصاعدة. فالعظمة التي مثلتها فرنسا نشأت من ثورتها التي ألهمت الثورة الأمريكية، وكانت أساس الديمقراطية التي نعرفها، مدعومة بمصادر القوة التي تخترنها فرنسا طبعاً، لتمنح هذه القيمة المضافة حاملاً قادراً على حمايتها ونشرها. وبريطانيا كانت قيمتها المضافة الإصلاحي الكنتوني الذي أنهى عهد صكوك الغفران ونشر الكنيسة الإنجيلية كحامل ديني لفكرة الدولة المدنية في وجه الدولة الدينية، بالمناسبة، لا في وجه الدولة العسكرية. وجاءت أميركا خلاصة هذين العاملين، من موروث فرنسا وبريطانيا، الديمقراطية والدولة المدنية، وبالمقابل عظمة روسيا جاءت من ثورتها البلشفية التي بنت أول نظام اشتراكي وحولته قوة نهضة في الإنسانية في وجه الظلم الرأسمالي. ومن خلف هذه القيمة المضافة مصادر قوة بالتأكيد. وجاءت الصين كحامل لثورات التحرر الوطني وجامل قيمة مضافة في الحرب الشعبية في وجه الاستعمار مدعوماً أيضاً بمصادر القوة، لكن هذه الدول الخمس، بقيمة المضافة الحيّة حتى تاريخنا، تركزت وتوجت في لحظة تاريخية واحدة، باستثناء الصين التي أضيفت إليها لاحقاً بقوة إنجاز ثورات التحرير التي صنعت لحظتها التاريخية بعد الحرب العالمية الثانية، وعندما شكّل الاستعمار تحدياً لا يقل عن النازية خطراً وظلماً، وكانت ثورة الصين هي طبيعتها. أما بالنسبة إلى الآخرين، فقد كانت الحرب العالمية الثانية هي اللحظة التاريخية التي منحت القيمة المضافة لكل منهم، بمعناها الجديد المضاف إلى ما لديهم من قيمة مضافة مختزنة. واللحظة الجديدة هي النصر على النازية التي شكلت خطراً داهماً على البشرية وسلام شعوبها وأمنهم.

بعيداً عن مناقشة تفاصيل القمة التي جمعت بين الرئيسين الروسي فلاديمير بوتين والسوري بشار الأسد، يبقى مؤكداً أن البشرية تدخل تحدياً يتهدد سلامها وأمنها وطمانينة شعوبها، يشبه الخطر الذي مثلته النازية، يمثله الإرهاب الذي درك الجميع

صباحت

- حلب يا برتقالة العيد، سيعود إليك النض من جديد، وستهزمينهم ويفرّون كالعبيد. لم يعد بهم العدد وقد جاءك المدد ألوفا مؤلفة وجيوشا متولفة، وفي كتابك قال سيف الدولة وكتب المتنبي وأشد أبو فراس لا يقل الحديد إلا الحديد.
- بين حلب وفلسطين حبل سرّة، تنتفضان معا و«الداعش» واحد. تقولان ماؤنا لا يُشرب ونارنا لا تُقرب وأطفالنا قتال وأطفالنا معاول ونساؤنا قادة ورجلانا سادة، وقد دقت ساعة الفداء إلى السلاح. قد جاء نصر الله... أفهموها.
- لا تستهلكوا أو قاتكم بمواقف تعرفون نهاياتها، وإذا حسبتم ما أنفقتموه عليها خلال سنة، تقولون ألف ساعة بلا طائل. ولكم المثل بما فعله بنو سعود في سورية وما هم يودعون إلى حيث كان ممكناً أن يكونوا من زمن، فذهب ما لهم ورجلهم والوقت والمواقف هباءً.
- كأن لقاء الأسد بوتين هو لقاء روزفات ستالين عشية حملة النورماندي التي قضت على النازية وولّجت خلاص البشرية، لكنها أسست لعالم جديد بقطبين جديدين. من قال أن أحداً عشية حملة النورماندي كان يأبه لغير النصر بينما هو ينصره يغيّر العالم.
- قد ينظر العالم كله إلى الحدث وصنّاعه بعين الحسابات. لكن التاريخ أمس كان ينظر بعيني رجلين يخينّ لهما هداياه الكبرى. للأسد معادلة «الصرير العظيم يصنع النصر العظيم»، ولبوتين «الصداقة العظيمة تصنع الدولة العظمى»... ولكليهما «ما توفرت للحق قوة ورجال إلا وساد العالم». هكذا حكمت فينقيبا قبل آلاف السنين. وفي زمن زوال أحجام الدول في صناعة مكائنها «يصير عالمياً من يخترع وجدان البشرية في الانتصار لحق بائنه، ومن يمسد كالأبطال في وجه ظلم بائنه...» الأسد يدخل نادي الكبار والأيام شواهد.
- لعرب يحملون بأمداء الماضي قدّم الأسد وصفة العظمة لامة عظيمة بأن الدول تقاس بحجم ما تنجز للبشرية جمعاء. سيسأل هولاند ابنته غير المسجّلة على خانته العائلية يوماً من هو يملك يا ابنتي فتقول بشار الأسد، لأنه خلصنا من شياطين الموت. ويسألها ما حلكم فتقول: صورة تنكارية معه ومصافحة يده. وهذا استفوق له ابنتا أو بامنا وكاميون. فالأطفال هم كتاب تاريخ العظماء وكبار السن يكتبون لمن يدفع لهم أكثر.

قالت له

قالت له: أريدك حباً بلا شروط ولا أسئلة، وأن ترضى حبيّ الفوضوي والمتقلب والمتغير على إيقاع الفوضى التي تحياني وتختزل أيامي، وأن توقف مواظك لتربيتي على قواعد الانتظام، وألا تسمح لخيالك بتصوير كل خطواتي البريئة أو العملية لاعتبارات تعرفها وتعرف صدقها مع سواك، كاعتداء عليك، وأن تتوقف ليقفح العقل ويدقق في جواز السفر. وأن تتذكر أنني قلت لك مئة مرة في لحظة صفاء أنك حبي الوحيد، ومرات قليلة في لحظات غضب قلت كلاماً قاسياً توجّهت بأنتي أريد الرحيل منك والابتعاد عنك. فتميّز بقلبك حقيقة مشاعري لا يقولك ما أضمر المرء شيئاً غلا وظهر في فلتات لسانه. هذا مشروع اتفاق فهل توقع؟ فقال لها: وإن لم أفعل؟

قالت: الأفضل عنده أن تتوقف حرب لا فائدة منها نسّميتها حباً، وهي محاولة استنساخ دائمة لأنثى على شاكلتك لن تنجح، وستفشل كل ما هو جميل بيننا قبل أن تعلن فشلها.

فقال لها: كل تلاقح في الطباع بين البشر قبل أن يصير حباً لرجل وامرأة هو محاولات استنساخ تتسلل في خلايانا، نتلقّى خلالها من طباع الغير ويتلقون من طباعنا. وحتى تاريخ حضارة البشر هو حاصل هذا التلاقح الذي يبدأ بقسوة الاستنساخ ويتحوّل إلى تبادل مهمات فافتتت نسب الأخذ والعطاء. وها أنا أجد نفسي تغيّرت بتأثيرك ولا أعترض أو أضع الشّروط. لكنني أظن أنها الحرّيّة لا التبادلية. فلو تقرّرتين ما كان منك شروطيناً كأنها مني وتقبليين، لقبلت.

فقلت: أمرنا مختلف.

فقال لها: في كل علاقة صداقة أو حبّ مقدار قيود نحيتها ونأوي إليها، ولا نحسّها قيوداً إنما روابط يخيط من حرير. وفي مراحل من حياتنا نحس الحرّيّة تنادينا وخيوط الحرير قد صارت سلاسل من حديد. فعيندئذ يكون فك العقد وتحريك اليدين قد جان وقته، ولو لتنفس بعيد الحسابات، عل تنتشق الحرّيّة يعيدنا برضى القبول والإدراك أننا عندما نقول للأخر قد تغيّرت، يكون كلانا قد تغيّر، وأن كل ما نقوله للأخر لو نرضاه لأنفسنا أو لا قاعدة ذهبيّة في الحياة، وأن التآثر والتغير بفعل الأخر سنّة لا مناص منها في مسيرة الإنسان. فأننا انتظر أن تأتي لتغيّريني واستدار ليمضي.

فقلت: إن كان الخيار بين قيودك والحرّيّة مع سواك فقد ارتضيتك سجيناً أبدياً... وتعانقا.

رياضيات في الكلام

- ترابط القضايا المحقّة كترابط شرايين الدم في الجسد. ينفقبش الشريان في العضل فيزيد الاحمرار في العين. العضل مشدود والعين حمراء والغضب الساطع آت... تفتح نافذة النصر في سورية فتتنفس فلسطين.
- كل الناس ينجزون واجباتهم ليتفرّغوا لهواياتهم. لكن بعض الناس يفضلون أن يحسبهم الصديق أو الحبيب ضمن الواجبات. والبعض يفضلون أن يبقوا أبد العمر هوبةً.

ظما!

أحياناً، تشعر نفوسنا بالظما، لكننا لا ندري إلى ماذا... مع أن البناييع حولنا! أكون الجفاف قد تغلغل فينا، وأصاب نسيج حياتنا؟ رماد الأيام يتناثر فوق وهم خيالنا، والحنين يشتعل في صدّي ها هنا، وأمواج الألم تتقاذف عذاباتنا... فلا نجد إلا أعمقنا، إليها ناوي، نبحث عن ذواتنا، نقلب بين أوراق الزمن الهاربة صفحاتنا. وبين غصّة وأنين تسرقتنا لحظاتها، إلى عالم من الصفاء حيث يرضوع طيب كلماتنا، والحلو من حكاياتنا، فتنمايل الرؤى، ويتوهج الربيع في آياتنا، وتزهو الدنيا أكثر، ويتالق الصبا في ظلماتنا، كأننا بعنّنا من جديد، فنفتحق أكثر حياتنا!

سحر عبد الخالق

البناء

بوح سكّين... وأسارير حجر

في القدس تزدهم المفردات على لسان الشعراء وفي أحسن تقويم ترسم مشاهد الغراء
تضج الأماكنة بزغاريد النساء على وقع أزوجة الشهيد...
في القدس تتجلى الملائكة مرتين مرّة تحمل على أكتافها إحاطة الله لتنتزها على سواعد المجاهدين
تصحبنا ربانينا من كل سوء ومرّة تلمّ جبهة الشهيد...
قم يا شهيد وانظر من حمل الراية كيف صارت للسكّين قلالده
كيف استوطن حجرّ في يد الوليد...
في القدس حجرّ يغازل سكّينه

ينظلمان قصيدةً للحب والنار... يا روعة النظم إن كانت مفرداته نوار...
في القدس تبوح سكّين بمفردات التراب وينقش مقدسيّ على حجرّ قصص الأحرار...
فترتدي الأجيال ثوب جهادها باكراً وهي تعلم أن الجهاد في الصغر كالنقش في الأحجار...
في القدس يرتدي الوتر أسود المقام... تتحدّ الاحلام المطعونة بسكّين الانقسام...
في القدس تجود مشيمة الأرحام

الدكتور محمد بكر



مُرّ الفراق

قالت له: كيف أضعتك في زحمة أيامي، ودروبي اليك خطوات اشتياق؟ يسابقتني الزمان دومنا انتباد. ومزّت سنننا على آخر لقاء.
قال لها: هذا قلبي أحمله بين كفيّ كعصفور جريح فاسمعيه. كل دقّاته صدحت حباً لأجل العيون. ولطالما كانت عيناك سمائي.

قالت: وهكذا يكون الحبّ: ابتسامات باسطة وكثير من النواح؟ صوتي كقرع الطبول والدموع شياك عنكبوت. حواسي غرقت في غيبوبة والغد تحكمه الظلال. ما زال محبّك يضّيء باللحظة الهانئة أيام سهادي. والسنن في الفراغ شعرك والشفاة. لكن، لا وعود ولا حتى رجاء. في الغياب الطويل نتعلم فنّ الخداع. وننقد معه ألقي الحياة.

رغبت إلى الله الدعاء، اجمعي باعزّ الأبناء!
قال: أيّ أيّ، تعالي والمسي قيري. وخذي من سكّيتني ما يخفف عنك الآلام. عبرت المدى إلى عالم ينتظر فيه أعزّ الأحباب. فافرحي في بحسن الجوار، واذهبي إلى الحياة فأننا غفوت هنا ليزهر في وطننا اللوز والبريق والفرح والأطفال. ربّي لك الحمداً يا قادراً على جمع قلوب بعد مرّ الفراق.

رانيا الصوت

همس الخواطر

كنت أحلم يوماً أنتني سأخرج من تلك الزاوية. حلمت أنّني أطير في الفضاء الرمادي. أردت أن أتبع: فتماذيت بالتحليق أكثر من دون إكثارٍ بالحقيقة التي أثبتتها تفاحة نيوتن!

حلقت أكثر فآفكر ورأيت النجوم سارحة في المدى. رأيت عصفائر الحبّ تحاول استفرّازي. وتطبيعاً لقانون ذلك اللعين نيوتن، عاكست الاستفرّاز بمقدار مشابه وارفعت أكثر فوق طبقات الجوّ راجية أن أفلت من الجاذبية وأكمل الطريق عمودياً.

وصلت من الجنون الحدّ الذي جعلني أقتنع أنّ الحلم حقيقة: حينذاك فقط بدأ الهبوط، وتلاشي الطيور، واضمحلال النجوم والكواكب. شدّنتني جاذبية الأرض. وازدادت تسارعي بشكل مقيت، واصطدمت بالأرض بسرعة تفوق سرعة الضوء!

استيقظت وعدت إلى واقعي وزاويتي وظلامي. عدت بلا اهتمام. عدت نكرة لا ياقبه العالم لوجودها. عدت ببضع كلمات فقط تحوم حولي.

عدت فقط بكلمات وبقايا إنسان!

لانا أبو جودة

سؤال وجواب

قال لها: تسرجين خيلك، تنوين الرحيل، إلى أين وجهتك وأنت التي أفتت فيّ وخلقت ستبقيين لأبد الأبدين؟ زرعتك أنت على هجري تقوين؟ دم الوريد، واليوم أنت تنوين الرحيل! اتحسبين أنك على هجري تقوين؟ كنت وما زلت في حياتي اليبين، فكيف إذا تغاديرين؟ لا بد أنك يقولك تمزحين، لتسمعي مني من جديد، أن عشقي لك لا يستكين، وحنيني ما بعده حنين. فأنت من أقسمت أنتي لغيرك لن أكون، وأنتك خلقت من ضلعي واتيّ تنتمين!

فسرّحي خيلك واسترجعي، أنت مني وأنا لك المحبّ الحافظ الأمين، وأن كنت تصرّين، فأننا وجهتك أنّي خللت، مني واليّ سيكون الرحيل!

أنت أنثى فلا تهذي بعد اليوم بالرحيل! هو إحساس أنثيايني وأنا أحاول الغوص في أعماقي لاقوم من جديد انتماءاتي، إحساس تمحور حول سؤال اخترت من أجد عنده الجواب. أبحرؤ لعمري أن يتنكر لذاته فيغير حلّ قناعاته واعتقاداته ويضرب بها عرض الحائط ليجد مطارح هواه واهتماماته؟

قلت: اخترت في أمري، حاولت إعادة ترتيب أولوياتي، عندهُ أيقنت أنني ما زلت أحترم ذاتي، وأنّ قدرتي وأحبّ ناسي من كان بهواه أحادي الولاء.

نعم لله العظيم الخالق العاللي، للوطن إليه بعزّ ينتمي، لأرض تجرّ فيها فأعطته خيرها بغير منة. لأهله هم الأصل وهو لهم الامتداد، لحبه الذي أقسم أن يسقيه الود والرحمة بكلّ حنان، لكل من يباده الولاء بالولاء...

عندئذ، تأكدت أن لديّ الجواب. فمدينتي ما زالت فاضلة، وستبقى كذلك ولن أدخل إليها إلا من كان مثلي أحادي الولاء؛ وهذا وعد مني لذاتي!

رشامارديني